دور المراسلات الدبلوماسية في الحرب المملوكية–الفرنجية (رسالة الظاهر بيبرس إلى حاكم طرابلس إنموذجاً)

د. غادة حسن •

(تاريخ الإيداع 17 / 5 / 2021. قبل للنشر في 26 / 7 / 2021)

□ ملخّص □

تعد المراسلات الدبلوماسية من الوسائل التي استخدمها المماليك في علاقاتهم مع القوى الأخرى ومنها الفرنجة، وكان لهذه الرسائل دوراً هاماً في الحرب المملوكية–الفرنجية في بلاد الشام. استخدمها سلاطين المماليك كسلاح للحرب النفسية ضد العدو يضاف إلى ترسانتهم العسكرية زمن الحرب. يهدف هذا البحث– من خلال تحليل محتوى إحدى هذه الرسائل– إلى تقديم لمحة عن الصورة التي نظر إليها السلطان بيبرس لخصمه الأمير بوهمند السادس. هذه الرسالة تعرض وجهة نظر هامة وواضحة عن الخطب الايديولوجية المملوكية والحوادث السياسية في تلك المرحلة. كما يوضح البحث استعانة السلاطين بخيرة كتّاب ديوان الإنشاء لكتابة هذه المراسلات التي استخدمت فيها اللغة والصور البيانية والنثر المسجع لإحداث أكبر أثر في المتلقي فشكلت بذلك أرشيفاً للبلاغة ونماذجاً حفظت في ديوان الإنشاء لاستخدامها عند الحاجة.

الكلمات المفتاحية: المماليك، الفرنجة، المراسلات، حصن عكار، بوهمند السادس.

• أستاذ مساعد ، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

The role of diplomatic correspondence in the Mamluk-Frankish war (Baybar's letter to the ruler of Tripoli is a model)

Dr. Ghada Hassan •

(Received 17 / 5 / 2021. Accepted 26 / 7 / 2021)

□ ABSTRACT □

The diplomatic correspondence is one of the means used by the Mamluks in their relations with other powers, including the Franks, and these messages played an important role in the Mamluk-Frankish war in the Levant. The Mamluks sultans used them as a weapon of psychological warfare against the enemy in addition to their wartime military arsenal. By analyzing the content of one of these messages, this research aims to provide a glimpse of the image that Sultan Baybars viewed of his opponent Bohemand VI. This letter presents an important and clear view of Mamluk ideological speeches and political incidents at that point. The research also shows the use of the writers of the Diwan al-Insha' by the sultans to write these correspondences, in which the language, graphic images and recorded prose used to make the greatest impact on the recipient, thus forming an archive of eloquence and models preserved in the establishment office for use when needed.

Key words: Mamluks, Fransh, Correspondence, Bohemond VI, Akkar.

• **Assistant professor , department of history, Faculty of Arts, University of Tishreen , Lattakia, Syria.**

مقدمة

شهدت بلاد الشام حالة من الاضطراب في منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، فقد استطاع المماليك القضاء على السلطنة الأيوبية والاستيلاء على الحكم باسم المحافظة على السلطنة السابقة. تزامن هذا الحدث مع حدث آخر هو سقوط بغداد على يد المغول وانتهاء الخلافة العباسية سنة 656هـ/1258م. كما كان الفرنجة يسيطرون على المنطقة الساحلية من بلاد الشام، ولا يزالون يهددون بالتوسع. وفي هذه الفترة بالذات برز السلطان الظاهر بيبرس (659–667هـ/1260–1277م) الذي تمكن خلال بضعة عشر عاماً أن يدرك حقيقة الموقف ويستغله لصالحه، بما له من حنكة ودراية ومقدرة، وتمكن من أن يوقف الزحف المغولي إلى بلاد الشام ومصر، وأن يكيل الضربات العنيفة للدويلات الفرنجية. اقتصرت أملاك الفرنجة في مطلع عهد الظاهر بيبرس على ثلاثة إمارات: مملكة القدس ومقرها في مدينة عكا[1]، وكانت تسيطر على المناطق الجنوبية، وفي الوسط إمارتي طرابلس[2] وأنطاكيا[3]، وكانتا تحكمان من قبل بيت واحد، وهم النورمانديون[4]. إلى جانب هذه الإمارات كانت هناك الرهبانيات العسكرية أمثال الاسبتارية[5] والداوية[6] والتيوتون[7]، وقد سيطر هؤلاء على بعض القلاع المهمة. كان بيبرس يرى في الفرنجة خصوماً سياسيين لدولته الناشئة، فمعركته معهم معركة كيانية، لذلك يجب القضاء عليهم سياسياً وعسكرياً. لكن السلطان لم يكن يستطيع القضاء عليهم

---

[1] عكا: تقع على الساحل الشرقي لبحر الروم، جنوب صور وشمال غرب طبرية، استَولى عليها الصليبيون عام 497 هـ (1104م) واستردها صلاح الدين عام 583 هـ (1157م)، واستولى عليها الصليبيون مرة أخرى عام 587 هـ /1191م ثم استردها الأشرف خليل القلقشندي (أبو العباس أحمد ت. 821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج4، المطبعة الأميرية–المصرية، القاهرة، 1913– 1919، ص152.

[2] طرابلس: مدينة ساحلية حصينة، يحدها من القبلة جبل لبنان، تطل على بحر الروم من ثلاث جهات، وتقع شمالها قلاع الدعوة الإسماعيلية، وشرقها قلعة منيعة من الحجر، استولى عليها الصليبيون سنة 503هـ /1110م. المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تح. مصطفى زيادة، ج .1 قسم 3، ص 747–748. القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص144.

[3] أنطاكيا: بلدة كبيرة ذات أعين وسور عظيم داخله خمسة أجبل وقلعة ويمر بظاهرها نهر العاصي والنهر الأسود مجموعين.. وهي أنزه بلد الشام بعد دمشق عليها سور من صخر يحيط بها. أبو الفداء (إسماعيل بن علي ت. 732 هـ/1331م) تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 257، القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 229.

[4] كانت كل منهما إمارة مستقلة، وعندما توفي ريموند أمير طرابلس عام 583هـ/1187م ولم يترك ولداً، خلفه في حكم إمارته الأمير بوهمند الرابع ابن أمير أنطاكيا النورماندي بوهمند الثالث، وعندما توفي الأخير تسلم ابنه بوهمند الرابع أميراً على أنطاكيا وطرابلس معاً. وعند استلام بيبرس السلطة كانت أنطاكيا وطرابلس تحكمان من قبل بوهمند السادس الذي كان يقيم في طرابلس. راينسمان (ستيفن)، تاريخ الحملات الصليبية، تر. نور الدين خليل، ج3، 1994، ص 842–843.

[5] الاسبتارية: تعد من أقدم الهيئات الدينية الحربية ويعود الفضل في تأسيسها إلى مجموعة من تجار مدينة أمالفي الايطالية وذلك عندما قامت في سنة 473هـ/1080م بإنشاء مستشفى للعناية بالحجاج النصارى الغربيين القادمين إلى الاراضي المقدسة. كان أسلوب حياتهم قائما على مبادئ الفقر والعفة والطاعة بل ونذروا أنفسهم لقتال المسلمين. للمزيد انظر مقامي (نبيلة ابراهيم)، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر، القاهرة، 1994، ص 14–15.

[6] الداوية: نشأت في عهد الملك بلدوين الثاني، في مدينة القدس بعد استقرار الفرنجة في بلاد الشام، وظهور مشكلة الطرق الغير آمنة لحجاجهم ورعاياهم القادمين إلى القدس نتيجة هجمات المسلمين عليها، وسطو قطاع الطرق عليهم بغرض السلب والنهب، ثم أصبحت الهيئة فيما بعد تشكل أكبر هيئة عسكرية فرنجية في بلاد الشام. للمزيد انظر مقامي، فرق الرهبان، ص 16–17.

[7] التيوتون: وهي هيئة تكونت سنة 522هـ/1128م، ذات طابع عسكري خيري في بادئ الامر، وقد نشأت بشكل رسمي ومعترف بها بين الفرنجة أثناء الحصار الفرنجي لمدينة عكا سنة 586هـ/1190م فقد قام الحجاج الألمان المشتركين بالحصار بالاتفاق على رعاية المرضى والجرحى من الحجاج الالمان، وسرعان ما اعترف البابا بالهيئة. للمزيد انظر مقامي، فرق الرهبان، ص 21.

جميعاً مرة واحدة، فكان لابد من ضرب مراكزهم واحداً بعد الآخر. وقد اتبع الظاهر بيبرس سياسة الدبلوماسية فوقع معهم الاتفاقيات والهدن وتبادل السفارات والمراسلات، وقد أدت هذه السياسة دوراً كبيراً في الانتصارات التي حققها بيبرس على الفرنجة لاحقاً. كان السلطان في السنوات الأولى من سلطنته حتى نهاية سنة 662هـ/1263م يعاهد الدول الفرنجية على الصلح ليتسنى له القيام باستعداداته العسكرية والسياسية، في الداخل والخارج، ليعود لمحاربتهم من جديد. فاستكان الفرنجة في بلاد الشام بعد ذلك إلى الهدوء والحياد. مارست المراسلات الدبلوماسية دوراً كبيراً في الحروب التي شنّها السلطان الظاهر بيبرس على الفرنجة، فقد استخدمها كسلاح فعّال يوازي استخدامه لترسانة أسلحته الضخمة. أرسل بيبرس إلى حكام وقادة الفرنجة خلال فترة حكمه 8 رسائل، اثنتان منهما أرسلتا إلى الأمير بوهمند السادس (649-666هـ/1251-1268م) أمير أنطاكيا وطرابلس، وأرسلت هذه الرسائل في المقام الأول في إطار إعلان النصر والفتوحات للقلاع الفرنجية في بلاد الشام، مع التأكيد على البراعة العسكرية وثبات الموقف السياسي وقوته.

أهمية البحث وأهدافه

تكمن أهمية هذا البحث في دراسة دور المراسلات الدبلوماسية في الحرب المملوكية–الفرنجية والتي كان مسرحها أراضي بلاد الشام، وذلك من خلال دراسة وتحليل محتوى واحدة من هذه المراسلات في عهد السلطان الظاهر بيبرس التي تعد نموذجاً كان على الكتّاب في ديوان الإنشاء المملوكي التقيد بأسلوبها ولهجتها. كما تهدف إلى تبيان كيف استخدم السلطان أسلوب الرسالة ولغتها كسلاح نفسي فعّال في خدمة ألة الحرب المملوكية.

منهجية البحث

اعتمد البحث على منهجية البحث التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من مصادر ومراجع خاصة بموضوع البحث، ودراستها وتحليلها ونقدها، واستخراج ما يفيد أي باحث في هذا السياق، واستخلاص الأفكار المناسبة للوصول الى نتائج مقاربة للحقيقة.

الاستيلاء على حصن عكّار

شنّ الظاهر بيبرس بعد صعوده إلى السلطة وتسميته سلطاناً للمماليك في مصر في شعبان 659هـ/1260م، هجوماً واسعاً ضد الإمارات الفرنجية المتبقية في ساحل بلاد الشام كما ذكر سابقاً، مما نتج عنه انخفاض واضح في الممتلكات الفرنجية في هذه المنطقة[8]. وفي عام 664هـ/1266م، قام الجيش المملوكي بالاستيلاء على مناطق بالقرب من إمارة طرابلس كعرقة[9]، بالإضافة إلى قلعة بالقرب من حصن الأكراد[10]. بعد عامين وتحديداً في رمضان 660هـ/شباط 1268م استولى على أنطاكيا، عاصمة الإمارة، الأمر الذي كان له صدى كبير في المصادر سواء العربية أو اللاتينية

[8] توراو (بيتر)، الظاهر بيبرس، تر. محمد جديد، دار قدمس، دمشق، ط2، 2001، ص 137-146، 151-164، 173-182.

[9] عرقة: هي بلدة صغيرة ذات قلعة صغيرة ولها بساتين ونهر صغير، وبين عرقة وطرابلس على سمت الجنوب اثنا عشر ميلا وهي على البحر. أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 255.

[10] حصن الأكراد: قلعة حصينة مقابل حمص، من غربيها على الجبل المتصل بجبل لبنان، ولها ربض، وكانت مقر ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس، وهي على مرحلة من حمص، وكذلك عن طرابلس، وهي بين حمص وطرابلس. انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 220. استولى عليها الفرنجة في عام 493هـ/ 1099م وأصبحت من أملاك أمير طرابلس الذي منحها إلى فرسان الإسبتارية عام 537هـ/1142م. للمزيد انظر مولر-فيز (فولفغانغ)، القلاع أيام الحروب الصليبية، تر. محمد وليد الجلاد، ط2، دار الفكر، دمشق، 1984، ص 76-78.

أو السريانية[11]. بالنسبة إلى الفرنجة كان الاستيلاء على أنطاكية بمثابة بداية النهاية للبناء الفرنجي في بلاد الشام، فقد تحطمت معنويات الفرنجة الذين سارعوا إلى عقد هدن السلام مع السلطان المملوكي[12]. وعلى الرغم من ذلك تابع الظاهر بيبرس سياسته الهجومية ضد الفرنجة سواء على الصعيد العسكري أو الدبلوماسي، فغادر القاهرة مع جيشه إلى دمشق في 10 جمادى الآخرة 669هـ/ 24 كانون الثاني 1271م، ثم اتجه نحو بلاد الشام الشمالية، واجتاح صافيتا[13] حيث توجد حامية لفرسان الداوية هناك، وتمكن من الاستيلاء على قلعة حصن الأكراد التابع للاسبتارية في 24 شعبان 669هـ/6نيسان 1271م. كان لهذه الحملة المنتصرة تداعيات دبلوماسية مهمة، فقد وافق السلطان على عقد معاهدة مع الداوية في مدينة أنطرسوس[14] ومع الإسبتارية في قلعة المرقب[15]، حصل السلطان من خلالها على إيرادات ومبالغ كبيرة جداً تم استخدامها لتمويل استمرار الحرب. هدف السلطان من وراء هذه المعاهدات أن يكسب الوقت لمواجهة الأخطار الأخرى كالمغول والأرمن لكي يتفرغ لتوجيه ضربات لهم، ومن ثم التوجه لإنهاء الوجود الفرنجي في بلاد الشام. أبلغ السلطان بيبرس كعادته بعد كل انتصار، مقدم الاسبتارية برسالة عن سقوط قلعته ونصحه بالرضا بالمصير الذي قسمه الله له وأضاف إن جنده لم يسبق لهم قط أن حاصروا قلعة من دون أن يستولوا عليها، ويبشره بسلامته "بسم الله الرحمن الرحيم نعلم المقدم افرير اوك بما سهل الله من فتح حصن الأكراد الذي حصنته وبنيته وعليته وملحته وحليته....و اتكلت على إخوتك في حفظه فما نفعوك، وقصدت بصنيعهم فيه بالإقامة فضيعوا أنفسهم وضيعوك. ولا شك انهم بذلوا جهد الاستطاعة، ولكن الكثرة غلبت الشجاعة، خصوصا اذا اجتمعت الكثرة والشجاعة... نحن نبشّر المقدم بسلامة نفسه اذ كانت له الحقيقة في البشارة ، ويتيقن ان الربح في باطن الأمر وان كان في الظاهر الخسارة؛ وهي سلامة النفس التي لا يتعوّض عن ذهابها الميت" [16].

كما كان لسقوط حصن الأكراد دوراً كبيراً في تدعيم مركز السلطان في مواجهة الفرنجة، اذ اتخذه قاعدة لعملياته العسكرية ضد طرابلس، ففي 17 رمضان/29 نيسان فرض الحصار أمام حصن عكّار[17] وهو حصن صغير إلى الشمال الشرقي من طرابلس يربض فوق جرف جبلي على السفوح الشمالية لجبل عكّار، وكان جزءاً من دفاعات الحدود الشمالية لإمارة طرابلس، على اتصال بالنظر مع قلعة صافيتا وقلعة حصن الأكراد. كان موقعه محمياً من الجهة التي تواجه الجبال ببرج قوي مع قناة مياه عميقة. في سنة 503هـ/1109م وبعد الاستيلاء على طرابلس استولى الفرنجة

[11] توراو، الظاهر بيبرس، ص 176–178.

[12] ابن عبد الظاهر (محي الدين ت. 693هـ/1292م)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح. عبد العزيز الخويطر، الرياض، 1976، ص 330–331.

[13] صافيتا: بلدة صغيرة وقلعة في عمق المنطقة الساحلية لبلاد الشام، تربض فوق هضبة مستديرة صخرية، موقعها الجيد يضمن لها الاتصال بالنظر مع جميع القلاع المجاورة تقريباً. كانت من أملاك فرسان الداوية حتى تمكن بيبرس من الاستيلاء عليها. مولر–فيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ص 63.

[14] أنطرسوس: مينا بحري ومحطة للحجيج على البحر المتوسط شغلها البيزنطيون ثم استولى عليها الفرنجة في طريقهم إلى القدس، جعلها ريموند صنجل مقراً له حتى استولى على طرابلس. للمزيد انظر مولر–فيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ص 61–62.

[15] قلعة المرقب: قلعة حصينة البناء مشرفة على البحر وبلنياس (بانياس) اسم بلدتها، وهي دون مدينة جبلة. وهو حصن أحدثه المسلمون سنة 454هـ/1062م. أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 255.

[16] انظر نص الرسالة كاملاً، ابن أيبك الدوادار (أبو بكر بن عبد الله ت. 739هـ/1335م)، كنز الدرر وجامع الغرر، الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، تح. أولرخ هارمان، ج8، المعهد الالماني للآثار، القاهرة، 1971، ص 151–153.

[17] مولر–فيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ص 60.

كذلك على قلعة عكّار الذي حررها نور الدين محمود بن زنكي (541–570هـ/1146–1174م) لفترة قصيرة ولكنها عادت في العام 566هـ/1170 إلى يد الفرنجة ومنحها ملكها إلى فرسان الاسبتارية. شغلت هذه القلعة في وقتها موقعاً حيوياً لإمارة طرابلس، من حيث أنها تحمي الجزء الأكثر ضعفاً، وهو المكان الذي يمكن للمسلمين فيه أن يدخلوا في سهل أرشاس وقطع الاتصالات بين أنطرسوس وطرابلس، كما سمح هذا الموقع للفرنجة بالسيطرة على الطريق الإسلامي الذي يربط حمص[18] ببعلبك[19] وقطعه. ومنذ بداية القرن السادس الهجري/ الثالث عشر الميلادي أصبح حصن عكّار ضمن نطاق سيطرة أمير طرابلس، وكان يمثله في هذا الحصن نائب يتولى أمور الدفاع عنه. استسلم الحصن للجيش المملوكي بعد حصار دام لمدة شهر تقريباً لأن السلطان نجح في جلب مجانيق يرمي بها القلعة، وسمح لحاميتها بالانسحاب إلى طرابلس. ومن هناك أرسل السلطان بيبرس الرسالة التالية إلى الكونت بوهمند السادس الموجود في عاصمته الجديدة طرابلس وهذا نصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم. قد علم القومص بيمند. جعله الله ممن ينظر لنفسه ويفكر في عاقبة يومه من امسه!. نزولنا بعد حصن الأكراد على حصن عكّار، وكيف نقلنا المنجنيقات إليها في جبال تستصعبها الطيور لاختيار الأوكار؛ وكيف صبرنا في جرها على مناكدة الأوحال؛ ومكابدة الأخطار؛ وكيف نصبنا المنجنيقات على أمكنة يزلق عليها النمل اذا مشى؛ وكيف هبطنا في تلك الأودية التي لو أن الشمس من الغيوم ترى بها ما كان غير جبالنا لها رشا؛ وكيف صابرت رجالك الذين ما قصرت في انتخابهم؛ وحسّنت بهم استعانة نائبك الذي انتخى بهم.

وكتابنا هذا يبشرك بأن علمنا الأصفر نصب مكان علمك الأحمر وان صوت الناقوس صار عوضه " الله اكبر"؛ ومن بقي من رجالك أطلقوا ولكن جرحى القلوب والجوارح وسلموا ولكن من ندب السيوف إلى بكا النوائح؛ وأطلقناهم ليحدثوا القوم بما جرى؛ وليحذروا اهل طرابلس لا يغتر بهم حديثك المفترى؛ وليريهم الجراح التي أريناهم بها نفاذا ومنها تفادا، (ولينذروهم لقاء يومهم هذا)، ويفهموكم انه ما بقي من حياتكم إلاّ القليل، فيقولون للضيوف الضيوف والحتوف الحتوف والسيوف السيوف، وليحققوا عندكم إنهم ما تركونا إلاّ على رحيل، فمن زهد في حياته وماله وأولاده فهو يجرد سيفا او يقاتل ومن ظلم نفسه وذريته بالعناد فما ربك بغافل وهذا الصدق أول خبر تسمعه واخر حبل تقطعه؛ فتعرف كنائسك وأسوارك أن المنجنيقات تسلّم عليها إلى حين الاجتماع عن قريب؛ وتعلم أجساد جنودك وفرسانك ان السيوف تقول أنها عن الضيافة تحذر أن تغيب لان اهل عكّار ما سدّوا لها جوعا، ولا قضت من ريّها بدمائهم الوطر، وما أطلقوا إلاّ لما عافت شرب دمائهم، وكيف لا وثلاثة أرباع عكّار عكر. يعلم القومص هذه الجملة المسرودة ويعمل بها أو لا ويجهز مراكبه؛ ومراكب أصحابه، وإلاّ فقد جهزنا قيودهم وقيوده ".[20]

نقلت العديد من المصادر المملوكية هذه الرسالة مع بعض الاختلافات البسيطة فيما بينها، والنص الأقدم للرسالة وجد في كتاب "الروض الزاهر" لابن عبد الظاهر (ت. 692هـ/1293م).هناك بعض الملاحظات حول شخصية ابن عبد الظاهر فهو كاتب السّر للسلطان بيبرس، كما إنه كاتب هذه الرسالة على الأغلب استناداً إلى بعض الاشارات التي ستذكر لاحقاً . كتابه "الروض الزاهر" الذي استخرجت منه الرسالة هو عبارة عن سيرة ذاتية للظاهر بيبرس معاصرة

[18] حمص: هي أحدى قواعد الشام وهي ذات بساتين شربها من نهر العاصي....وهي في مستو الأرض خصبة جداً أصح بلدان الشام تربة...وهواء. أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 261.

[19] بعلبك: بلدة قديمة ذات أسوار ولها قلعة حصينة عظيمة البناء، ذات أشجار وأنهار وأعين. انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 255.

[20] ابن أيبك الدودار، الدرة الزكية، ج8، ص 156–157.

لهذه الأحداث. نقلت هذه الرسالة أيضاً من قبل ثلاث مصادر متأخرة النويري (ت. 733هـ/1333م)[21]، ابن ايبك الدوادار (ت. نحو 740هـ/1340م) وابن الفرات (ت. 807هـ/1405م)[22]. كما تظهر هذه الرسالة في ملاحق طبعة كتاب السلوك للمقريزي المحقق من قبل مصطفى زيادة[23]. بالنسبة للنويري وابن الفرات فقد نسخا كتاب "الروض الزاهر" بشكل كامل فيما يتعلق بعهد السلطان الظاهر بيبرس، كما قاما بنسخ الرسالة من هذا الكتاب. أما بالنسبة لابن أيبك الدوادار فهذا الأمر غير واضح، فالرسائل التي يدرجها في كتابه فيها بعض الاختلافات مقارنة بتلك الموجودة في كتاب ابن عبد الظاهر، إذ نجد أجزاء معينة لا تظهر في كتاب "الروض" مما يدعو للاعتقاد بأن ابن أيبك الدوادار كان باستطاعته الاطلاع أو مشاهدة وثائق أصلية أو أنه نسخ مصدراً كان مسبقاً قد قام بنقل هذه الوثائق لكنه لم يشر إليه. إن قرب ابن أيبك الدوادار من حلقة السلطة كون والده كان أميراً في خدمة دوادار[24] الظاهر بيبرس، وهو نفسه شغل وظائف كتابية، يجعلنا نعتقد بأنه كان قادراً على الاطلاع على الوثائق في الأرشيف المملوكي مما يجعله مصدراً أساسياً لدراسة المراسلات المملوكية. كما أن الوجود الدائم للبسملة في أعلى كل رسالة منسوخة أو منقولة من قبل ابن أيبك الدوادار تؤكد على هذه الفكرة، لذلك اخترنا نص الرسالة في كتابه كمرجع في تحليل الرسالة.

تذكر المصادر إن الظاهر بيبرس أرسل هذه الرسالة إلى الكونت بوهمند السادس صاحب طرابلس لإخباره بسقوط الحصن، ولكن في الواقع هي أكثر من ذلك لقد جاءت هذه الرسالة بمثابة ذريعة للسلطان المملوكي للسخرية من خصمه، كما إنها استعراض لقوته. ويمكن القول– مع هذه الرسالة– إن اللغة والبلاغة استخدمت كسلاح قوي أضيف إلى ترسانة أسلحة السلطان بيبرس وذلك ليظهر في عيون الفرنجة كما في عيون المسلمين، جبروت وقوة السلطان المملوكي.

ظروف كتابة وتحليل الرسالة

يوجد القليل من الإشارات والمعلومات التي تسمح بتحديد ظروف وأسباب كتابة هذه الرسالة. تشير بعض المصادر إلى أن النص كتب من قبل السلطان بيبرس بعد عودته من التخييم في "المرج"[25] بعد الحصار إذ أقام مع جيشه لمدة ثلاثة

[21] النويري (احمد بن عبد الوهاب ت. 731هـ/1332م)، ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 30، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990، ص 330–331.

[22] ابن الفرات (محمد بن عبد الرحمن ت. 804هـ/1405م) : تاريخ الدول والملوك، تح. وتر. ليونس، مطبعة هيفر وابنائه، ج1، كامبردج،1971، ص 188–189.

[23] المقريزي (أحمد بن علي ت. 841هـ/1442م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح. محمد مصطفى زيادة، ج1 ق2، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، 1934–1958، ص 972–973.

[24] الدودار: كلمة تعني ممسك الدواة ، ويقصد بذلك الموكل بدواة السلطان أو الأمير، ووظيفته إبلاغ ورفع القصص إلى السلطان والحصول على توقيعه على المناشير والمراسيم السلطانية. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 19–20.

[25] المرج: هذا الاسم متداول كثيراً في المصادر لكنه لا يظهر على هذا النحو عند الجغرافيين، يوجد مرج العسل أو مرج الأسد بالقرب من منبع نهر العاصي على الحدود بين منطقة دمشق ومنطقة طرابلس استنادا إلى القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 144،108. وتحدد بعض المصادر أن مخيم السلطان أقيم في مرج صافيتا. ابن أيبك الدوادار، الدرة الزكية، ص 155، وربما يمكن تحديده في السهل الأخضر الشاسع الذي تحده صافيتا وحصن الأكراد والذي يسميه الباحثون فجوة حمص أو سهل عكار. اليونيني يتحدث أيضاً عن مخيم السلطان المقام في "المرج الذي هو عند سفح حصن الأكراد. اليونيني (موسى بن محمد ت. 725هـ/1326م)، ذيل مرآة الزمان في تاريخ الأيام، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1954–1961، ج2، ص 382. في الواقع، قام السلطان بيبرس بالسيطرة على هذين الحصنين وعلى القلاع الصغيرة في هذا السهل، وحصل من هناك على دخل كبير بفضل الهدنة التي أبرمها مع الهيئات العسكرية المسيطرة على تلك المنطقة. وكان هذا المخيم بمثابة قاعدة للحملة على حصن عكّار.

أيام قبل المغادرة ثانية إلى طرابلس بين 1 و4 شوال 669هـ/13-16 آيار 1271م. ولكن يمكن للعناصر الداخلية للرسالة ومحتواها وخاصة أسلوبها أن يساعد على معرفة ظروف كتابتها وأسبابها.

لهجة الرسالة

يشير ابن عبد الظاهر وابن الفرات بأن الرسالة كتبت "بالتمعيرية"، أي بطريقة ساخرة، وقد شرح ابن منظور معنى الكلمة فقال "غضب فلان فتمعّر لونه ووجهه: تغير وعلته صفرة. وفي الحديث: فتمعّر وجهه أي تغير، وأصله قلة النضارة وعدم إشراق اللون"[26]. هاتان النغمتان، التهكم (الغضب) والسخرية، الموجودتان في النص تشهدان على نظرة ديوان الإنشاء المملوكي تجاه الأمير الفرنجي. قرر السلطان بيبرس إذاً الذهاب نحو الهجوم، مستخدماً ورقة التخويف والتهديد والضغط تجاه بوهمند السادس واضعاً نفسه في موقع المواجهة وليس في موقع الدبلوماسية. كما يذكر المقريزي، الذي لم يقم بنسخ الرسالة ولكنه أشار إليها مستخدماً مصطلحات مستعارة من الوثيقة نفسها، إلى إرسال السلطان رسالة للأمير "ليحذره وينذره"[27]، مما يؤكد على اختيار هذه السياسة الهجومية للسلطان المملوكي. يبدو هذا الأسلوب سمة مميزة لديوان الإنشاء في عهد الظاهر بيبرس، ويمكن ملاحظته بشكل واضح في الرسائل الموجهة إلى قادة وحكّام الفرنجة عامة، وإلى الكونت بوهمند بشكل خاص، وهنا لا بد من العودة بما يخدم هذا الرأي إلى ما قاله القلقشندي في كتابه "صبح الاعشى" عندما وضع الرسالة الموجهة من السلطان بيبرس الى الكونت بوهمند بعد سقوط مدينة انطاكية كنموذج عن الرسائل الصادرة عن ديوان الإنشاء المملوكي في فصل "المكاتبات من أجل توبيخ المهزوم وتقريظه والتهكم به". يذكر القلقشندي بالتفصيل عناصر الخطاب الدبلوماسي، وكل ما يجب أن تبنى المكاتبة فيه من أجل هذا النوع من الرسائل فيقول: "ذكر المهزوم وما استولى عليه من الغلبة والقهر، صورة الحال في النصرة عليه والاستيلاء على بلاده وأمواله وسائر ذات يده وأسر رجاله واسترقاق ذراريهم ونسائهم وما يجري مجرى ذلك، مما فيه إيلام خاطره وتقطيع قلبه حسرات على ما ناله ونحو ذلك مما يدعو المكتوب إليه إلى الطاعة ويوجب الانقياد"[28].

أسلوب الرسالة

بني الجزء الأول من الرسالة على صيغة التكرار" كيف... وكيف..."، ونجد هذه الصيغة أيضاً في الرسالة الموجهة إلى بوهمند السادس بعد سقوط أنطاكيا عام 666هـ/1268م[29]، فنقرأ الوصف المبالغ فيه لما فعله الجيش المملوكي لفرض الحصار أمام قلعة عكّار التي لا يمكن الوصول إليها أو يصعب الوصول إليها " وكيف نقلنا المنجنيقات إليها في جبال تستصعبها الطيور لاختيار الأوكار... ؛ وكيف نصبنا المنجنيقات على أمكنة يزلق عليها النمل اذا مشى". والنتيجة التي تم الحصول عليها بفضل المبالغة والغلو في الوصف هي تعظيم وتفخيم الإنجاز الذي حققته جيوش السلطان التي تنافست مع عناصر الطبيعة وهزمتها. يستخدم الكاتب أيضاً أسلوب التجسيد "فتعرف كنائسك وأسوارك أن

---

[26] ابن منظور (ت. 711هـ/1311م)، لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، 1956، ج5، ص 181.

[27] المقريزي، السلوك، ج1 ق2، ص 592.

[28] القلقشندي، صبح الاعشى، ج8، ص 299. كان غرض القلقشندي من إيراد نصوص المكاتبات في كتابه هو لتقديمها كنماذج لتعليم صنعة كتابة الرسائل إلى جانب الأدوات الأخرى، وهذه الأداة هي الناحية الإنشائية وما يتطلبها من جودة الإنشاء، وبلاغة الأسلوب، وسلامة التعبير وتكييفه بحسب مقام المرسل إليه أو بحسب المناسبة، ووضوح الفكرة، وحسن العرض، وترتيب النقاط.

[29] "....وكيف كنست تلك الكنائس من على بساط الارض... وكيف جعلت تلك الجزائر من الأجساد على ساحل البحر كالجزائر.... وكيف قتلت الرجال ... وكيف قطعت الأشجار ، ولم يترك الا ما يصلح لأعواد المجانيق والستائر ، وكيف نهبت لك ولرعيتك الأموال والحريم والأولاد ...وكيف استغنى الفقير...."، انظر ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 309-310.

المنجنيقات تسلّم عليها إلى حين الاجتماع عن قريب؛ وتعلم أجساد جنودك وفرسانك أن السيوف تقول أنها عن الضيافة تحذر أن تغيب". السخرية في النص موجودة من خلال استخدام اسلوب التورية، والتورية في اللغة العربية لها معنيان أحدهما لغويّ والثاني اصطلاحيّ، إذ تعني لغةً: إخفاء الشيء، أمّا في الاصطلاح فتُعرّف التورية أنّها: إيراد لفظ له معنيان، معنى قريب ظاهر غير مقصود ومعنًى بعيد خفي وهو المقصود، يعني أن يقول المتحدث كلاماً له معنى يفهمه السامع ولكن المتحدث يريد معنًى آخر، فقد تخلص المقاتلون المسلمون من عطشهم للدماء لأن ثلاثة من الحروف التي تشكّل كلمة عكّار، تشكّل كلمة عكر (أي غير صالحة للشرب). كما استخدم في هذه الرسالة أسلوب النثر الايقاعي (السجع) وهذا الأسلوب كان أحد أهم سمات النثر في هذه الفترة. إنه الوسيلة الأسهل من أجل تجميل النّص ودعمه بسلاح اللغة القوي، فهو يستخدم نفس النهايات و القوافي في نهاية مجموعة من الكلمات.

يعدّ ابن الدودار المؤرخ الوحيد الذي حدد بأن كاتب الرسالة هو ابن عبد الظاهر، وهو شخصية مفتاحية وهامة في عهد الظاهر بيبرس. عرف عنه بأنه مؤرخ لأنه كتب السيرة الرسمية للظاهر بيبرس وذلك بتكليف من السلطان نفسه. كان كتابه مصدراً أساسياً للكثير من المؤرخين المتأخرين وذلك بسبب معاصرته ومشاركته للأحداث في هذه الفترة. عمل ابن عبد الظاهر كاتباً للدولة، وكان صاحب قلم بليغ تميزه الرويّة والرزانة أحياناً، وعدم الشفقة أحياناً أخرى، وأهّله ذلك لأن يحتل مكانة مرموقة لدى السلاطين الظاهر بيبرس، والمنصور قلاوون، والأشرف خليل. لقد استلم منصب كاتب الدست[30] وكان مساعداً لابنه فتح الدين[31] الذي كان كاتب السّر أي صاحب ديوان الإنشاء في عهد قلاوون وبقي فيه حتى وفاته[32]. كما أنه ترأس بعض السفارات الى حكّام الفرنجة في بلاد الشام نيابة عن السلطان[33]. لم يكن قلمه قاصراً على كتابة الرسائل الدبلوماسية، وإنما كان أيضا ينشئ المراسيم، وكتب الشفاعات، واعلان النصر، وكتب العهود والمعاهدات بين المماليك والدول المسيحية[34]، وكذلك كتب العهود والمواثيق مع الدول الإسلامية مستخدماً في كتابتها

[30] كتّاب الدست: الدست كلمة فارسية تعني الوسادة، وسموا كذلك إضافة إلى دست السلطان، وهو مرتبة جلوسهم للكتابة بين يديه، وكانوا يتولون الإشراف على ديوان الإنشاء قبل أن يستحدث السلطان قلاوون وظيفة كاتب السّر، ويختارون من أعلام البيان وأفذاذ الكتّاب. للمزيد انظر القلقشندي، صبح الأعشى،ج1، ص 137.

[31] فتح الدين محمد بن محي الدين بن عبد الظاهر، ولد في القاهرة عام 638هـ/1240م بدأ عمله كصاحب لديوان الإنشاء في القاهرة، وحصل على لقب كاتب السّر في عهد المنصور قلاوون عام 678هـ/1279م بدلا من فخر الدين بن لقمان الذي أصبح وزيراً. وعلى الرغم من تواضع امكاناته مقارنة مع والده محي الدين فقد استمر في وظيفته كاتباً للسّر حتى وفاته عام 691هـ/1292م في دمشق. انظر الصفدي (خليل بن أيبك ت. 696–762هـ/1297–1363)، الوافي بالوفيات، تح. تركي مصطفى وأحمد أرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، ج3، بيروت، 2000، ص 290–292.

[32] القلقشندي، صبح الأعشى، ج 1، ص 104 و 137.

[33] أرسل الظاهر بيبرس ابن عبد الظاهر في ثلاثة سفارات: الأولى عام 666هـ/1267م الى هوغو الثالث ملك عكا وقبرص للتصديق على هدنة سلام، والثانية عام 667هـ/1268م الى بوهمند السادس أمير طرابلس للتفاوض بشأن هدنة بين الطرفين، والثالثة عام 669هـ/1270م الى قائد الإسبتارية في انطرسوس للتصديق على هدنة سلام بينهما. ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 331، 333، و 378، شافع بن علي (ت. 729هـ/1328م) : حسن المناقب السيرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تح. عبد العزيز خويطر، مطبعة القوات العسكرية السعودية، الرياض، 1989 ، ص 127، 128، 137، و 138، ابن الفرات، تاريخ الدول، ج1، 1971، ص 165، 186.

[34] كتب ابن عبد الظاهر الرسالة المرسلة من بيبرس الى بوهمند أمير طرابلس وأنطاكية بعد سقوط هذه الأخيرة عام 666هـ/1267م. كما كان مؤلف الرسائل المرسلة الى حكّام الفرنجة بعد سقوط حصني الأكراد وعكار، وكتب رد السلطان بيبرس على رسالة ملك الحبشة عام 673هـ/1274م. كما كتب أيضاً هدن السلام مع مملكة عكا عام 682هـ/ 1283م ومع حاكم صور عام 684هـ/1285م.

النثر المسجع والصور البيانية. هذه الوثائق حفظت فيما بعد في كتب الإنشاء لتخدم الكتّاب الجدد كنماذج يقتدون بها. وبوجود هذه العناصر وغياب الدليل فمن المؤكد أن الرسالة كتبت باللغة العربية. لا تقدم المصادر اللاتينية والمصادر العربية الإسلامية التفاصيل المتعلقة بإرسال واستقبال الرسالة، ولكن بعض المؤرخين المسلمين يتحدثون عن تبادل مشافهات (رسائل شفهية) بين بوهمند السادس والسلطان بيبرس سبقت توقيع الهدنة بين الحاكمين، ومن المؤكد أن هذه الرسائل كانت مصحوبة برسائل خطيّة، لكن المصادر لا تتحدث حول هذه النقطة. إحدى هذه الرسائل أرسالها بيبرس مباشرة بعد سقوط حصن الأكراد، وقد نقلها أحد فرسان الإسبتارية الذي من المؤكد إنه نقل أيضاً مشافهة مليئة بالتهديد والوعيد من قبل السلطان. وقد نتج عن سقوط حصن الإسبتارية الكبير توقيع معاهدة مع مقدمهم كما ذكر سابقاً، تحصل السلطان بموجبها على العديد من أراضي بلاد الشام الشمالية، كما تحصل على إيرادات مناطق أخرى مناصفة مع الفرنجة. ويبدو أن علاقات جيدة قد نشأت بين بيبرس والإسبتارية فقد عمل هؤلاء كمبعوثين وسفراء بين السلطان بيبرس والكونت بوهمند الذي لم تتوقف الأعمال العدائية معه. ويمكن القول أن رسالة بيبرس إلى بوهمند بعد الاستيلاء على حصن عكّار قد نقلت بهذه الوسيلة.

المعلومة من منظور الايديولوجية المملوكية

سعى السلطان من خلال رسالته إلى اظهار نفسه بأنه يتحكم في المعلومات، فقد أطلق سراح حامية حصن عكّار حتى تتمكن من اطلاع الكونت على ما حدث، وتحذير الناس من قرب الوصول الوشيك للجيوش السلطانية، ومن المفترض أن يقوم هؤلاء بقول الحقيقة لمواجهة الأكاذيب التي ينشرها الكونت. هذه الألية (الاستراتيجية) تذكر بالمنشورات التي كانت تطلقها جيوش العدو في أوقات الحرب لاستخدامها مع مقاتلي الخط الأمامي المعاكس من أجل حملهم ضد قيادتهم، ضريبة للكذب. كما إنه أيضاً تقليد للحالة القرآنية الموصوفة في الآية التي تم استخدامها كشاهد في الرسالة "ولينذروهم لقاء يومهم هذا". فقد شبه أفراد حامية حصن عكّار التي حرّرها بيبرس لتنقل خبر ما حدث، بمجموعة الجن، الذين بعد سماعهم قراءة القرآن ذهبوا ليخبروا أو ليشهدوا بما أوحي إليهم ولإظهار الحقيقة أمام الناس[35]. إن محتوى الخبر الجديد الذي حمله هؤلاء الرسل، كما هو الحال في القرآن الكريم، هو التحذير من شدة العذاب لمن لا يستجب لدعوة الله تعالى. في هذه الحالة، بيبرس يهدد بالهجوم على طرابلس، اذ استمر الفرنجة "بالعناد" وهو المصطلح الذي تم استخدمه في الرسالة[36].

أراد السلطان أيضاً أن يثبت إنه على دراية جيدة بالشؤون الداخلية لدول الفرنجة في بلاد الشام، كما يتضح من المقطع المتعلق بنائب حصن عكّار الذي تصرف بشكل سيء مع الحامية " وكيف صابرت رجالك الذين ما قصرت في

HASSAN, G., Les relations diplomatiques entre les Mamelouks bahrides et les Etats chretiens en Orient (milieu du XIIIe-fin du XIVe siècle), These de doctorat, Universite Paris 1- Pantheon-Sorbonne, Paris, 2010, p. 176.

[35] "يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا". القرآن الكريم، سورة الأنعام، 130. انظر ابن كثير (اسماعيل بن عمر ت. 772هـ/1373م)، تفسير القرآن العظيم، مكتبة دار الاسلام، دمشق، ج2، 1948، ص 177.

[36] المقطع الذي يلي الشاهد القرآني في الرسالة، مشابه لتفسير الآية عند ابن كثير "أيها المشركون من الجن والإنس ألم يأتكم رسل من جملتكم يخبرونكم بآياتي الواضحة المشتملة على الأمر والنهي وبيان الخير والشر، ويحذرونكم لقاء عذابي في يوم القيامة؟ قال هؤلاء المشركون من الأنس والجن: شهدنا على أنفسنا بأن رسلك قد بلغونا آياتك، وأنذرونا لقاء يومنا هذا، فكذبناهم..". للمزيد انظر ابن كثير، تفسير، ج2، ص 177.

انتخابهم ؛ وحسّنت بهم استعانة نائبك الذي انتخى بهم"، وعلى الرغم من ذلك فإن المقطع غير واضح ولا تساعد المصادر اللاتينية في توضيح هذا التلميح، والمعلومات حول قلعة حصن عكّار بعد مغادرة حاميتها لها هي معلومات قليلة ومقتضبة، وقدمت وفقاً للرواية المملوكية الجديدة. لقد رمز للهيمنة المملوكية الجديدة بوجود الأعلام الصفراء[37] للسلطان والتي حلت محل أعلام الأمير الفرنجي الحمراء، كما إن القوة الإسلامية الجديدة استحوذت على مساحة الصوت، إذ تم استبدال صوت الأجراس "الناقوس" بالتكبير "الله أكبر"، وهي إشارة إلى أن إقامة طقوس الصلاة كانت من ضمن مشاغل وأولويات السلطان المستعجلة. هذا الانقلاب في المجال السياسي والديني هو موضوع حيوي وهام في الإيديولوجية المملوكية، مستمدة مباشرة من فن الكتابة الأيوبية، إذ نجد صيغ متطابقة في رسالة موجهة من صلاح الدين الأيوبي (567–589هـ/1174–1193م) إلى الحاكم أبو يوسف الموحدي (580–596هـ/1184–1199م) عام 585هـ/1189م[38]، يعيدها ابن عبد الظاهر في الرسالة التي كتبها ليعلن عن سقوط أنطاكيا[39].

إن رسائل التهديد العديدة بالموت إلى الأمير بوهمند السادس تشهد على السياسة العدائية للسلطان تجاه الأمير الفرنجي ورغبته في إذلاله عن طريق السخرية، فتوجه إليه بلقب القومص بدلاً من لقب أمير. وكان بيبرس في وقت سابق وفي رسالة أخرى موجهة إلى بوهمند، بعد سقوط أنطاكيا قد سخر من هذا الخصم الذي خسر لقبه بعد فقدانه عاصمته "قد علم القومص[40].... بيمند المنتقلة مخاطبته، بأخذ انطاكية منه من البرنسية الى القومصية الهمه الله رشده ، وقرن بالخير قصده...."[41]. منذ ذلك الوقت لم يتوجه بيبرس في مراسلاته مع بوهمند إلا بهذا اللقب، ويذكر شافع بن علي نقلاً عن لسان ابن عبد الظاهر حادثة حول هذا الموضوع _على الرغم من إن الأخير لم يذكرها في كتابه عن السلطان بيبرس_، تتلخص بأن السلطان بيبرس أرسل سفارة إلى بوهمند للتفاوض على الهدنة والاتفاق على بنودها في عام 669هـ/1271م مؤلفة من الأمير فارس الدين أقطاي[42] وابن عبد الظاهر، وذهب معهم السلطان نفسه متنكراً في صورة سلحدار[43]. عندما بدأ ابن عبد الظاهر بكتابة نص الهدنة، كتب "واستقرت الهدنة بين مولانا السلطان وبين

---

[37] كان يطلق عليها اسم العصائب السلطانية وهي راية كبيرة من الحرير الأصفر المطرز بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه، ترفع فوق رأس السلطان في الاحتفالات والمناسبات والحروب. انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص7.

[38] أرسل صلاح الدين هذه الرسالة لتجيش الحاكم الموحدي ضد الفرنجة في الشام ومصر. انظر نص الرسالة كاملاً القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص 526–530.

[39] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 309–313.

[40] القومص: تعريف حرفي للفظة اللاتينية (comes) أي الامير، ومعناها في اللاتينية الرفيق لأنه كان في بادئ الأمر يرافق الملك في حروبه وتنقلاته. حرفت هذه الكلمة في اللغة الفرنسية إلى (comte) واعتادت المراجع العربية أن تعربها إلى كند وكد وفند . انظر ابن واصل (محمد بن سليم ت. 697هـ/1298م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح جمال الشيال، مطبعة جامعة فؤاد الاول القاهرة، 1953، ج1، ص 73، هامش 1.

[41] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 309.

[42] فارس الدين أقطاي: كان مملوكاً للملك الصالح أيوب. أرسل سفيراً إلى الفرنجة من قبل السلطان أيبك. ولي الأتابكية (قيادة الجيش) في عام 655هـ/1256م في عهد المنصور علي بن أيبك. كان له دوراً كبيراً في معركة عين جالوت عام 658هـ/1260م لذلك عينه السلطان بيبرس نائبا للسلطنة، كما أرسله في عدة سفارات ومنها سفارة إلى الاسبتارية للتفاوض في هدنة عام 673هـ/1274م. توفي في العام نفسه عن عمر 70 عاما. ابن شداد (محمد بن علي ت. 684هـ/1285م)، سيرة الملك الظاهر، تح. أحمد حطيط، فرانز ستينر فرلاج، ويسبادن، 1983، ص 112–113، شافع بن علي، حسن المناقب، ص 155–156.

[43] السلحدار يعني أمير السلاح والمشرف على السلاح خاناه وهو من كبراء الأمراء بجانب السلطان ويحمل سلاحه في الاحتفالات والمراسم السلطانية، انظر القلقشندي، صبح الاعشى، ج4، ص 19.

القومص" ولم يكتب الإبرنس (أي الأمير) فغضب بوهمند كثيراً وقال"من هو القومص" فأجابه "أنت" قال "لا أنا برنس" فرد عليه " الإبرنس السلطان الملك الظاهر لأن الإبرنسية هي لصاحب القدس وأنطاكيا وأسكندرونة، وهو مولانا السلطان". فضج مجلس صاحب أنطاكيا، واستمرت المسرحية حتى تلقى الأتابك ضربة من رجل (قدم) السلطان، الذي أمر بإعادة كتابة اسم البرنس في نص الهدنة محدداً أن هذا اللقب "أنعم" عليه به من قبل السلطان وهي وسيلة إضافية للسخرية من بوهمند السادس[44] .

لم يكتف السلطان بيبرس بهذا بل سعى في الوقت نفسه لتعزيز صورته الخاصة، ففي الاقتباس القرآني الذي يظهر في الرسالة، قدم بيبرس نفسه كنذير، ومرجعيته في ذلك النبي محمد (صلعم) المنذر بامتياز[45]. إن موضوع التحذير والإنذار في النصوص القرآنية هو موضوع متكرر جداً، ويمثل نمط الخطاب الإلهي[46]. لم يقتصر هذا الموضوع على رسالة حصن عكّار بل نجده في عدة مراسلات وخطابات إلى حكّام الفرنجة. السلطان الظاهر بيبرس، متبنياً الموقف النبوي، ظهر في وقت واحد كمحذر لمنع وقوع الكوارث في المستقبل، وكمبشر حاملاً لخبر جيد فمتلقي الرسالة دائماً على قيد الحياة[47]، وبالتالي فإن هذه الرسائل توضع في سجل التحذير والإعلان عن الأخبار الجيدة، والربط بين الموضوعين موجود في الآية القرآنية التي ذكرت سابقا على سبيل المثال.

كما سعى السلطان أيضاً في الجزء الأول من الرسالة إلى الترويج لجيشه، إذ وصف المآثر العسكرية للمماليك مستخدماً سجل مستمد من الطبيعة ليظهر أن جيشه أقوى من العوامل الطبيعية (الطيور والنمل). أراد السلطان من هذه المسألة إظهار القوة الخارقة للطبيعة التي تتمتع بها جيوش السلطان التي عرفت كيف تتحدى عناصر الطبيعة وتنتصر عليها.

تلقى الأمير بوهمند السادس رسالتين على الأقل من السلطان الظاهر بيبرس، أحدهما الرسالة التي تلت سقوط أنطاكيا التي شكلت نوعاً جديداً من المراسلات "الموجهة إلى العدو المهزوم" إذ ما استخدمنا مصطلح القلقشندي. ويبدو من الضروري أن نرى في مثل هذه النظرة القاسية من جانب ديوان الإنشاء المملوكي انعكاس للعلاقات الخاصة بين بوهمند والظاهر بيبرس، والتي تردد صداه في المصادر التاريخية المملوكية.

صورة الأمير بوهمند السادس في المصادر المملوكية

يؤكد المؤرخون المقربون من السلطان بيبرس على حقيقة أن الأمير الفرنجي بوهمند السادس قد تعاون مع المغول خلال احتلالهم القصير لبلاد الشام في عام 658هـ/1260م، وأنه حقق بعض الفوائد من هذا التعاون[48]. كما يجعلون منه

---

[44] "فغمز الظاهر بيبرس الأتابك برجله، فقال الأتابك يا محي الدين صدقت، وإنما مولانا السلطان قد أنعم على هذا بلفظة الابرنس، كما أنعم عليه بتوطينه مملكته. فقال محي الدين للأتابك: إذا عملت هذا فلا بأس، وكتب الإبرنس بدلا من القومص". انظر شافع بن علي، حسن المناقب، ص63.

[45] انظر على سبيل المثال "إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً"، البقرة 119.

[46] "وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين"، الأنعام 48، "إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون"، الأعراف 188، "رسلاً مبشرين ومنذرين"، النساء 165.

[47] " وكتابنا هذا يتضمن البشرى لك بما وهبك الله من السلامة ، وطول العمر بكونك لم يكن لك في انطاكية في هذه المدة إقامة.... ولما لم يسلم احد يخبرك بما جرى خبرناك ، ولم لم يقدر احد يباشرك بالبشرى بسلامة نفسك ، وهلاك ما سواها باشرناك بهذه المفاوضة وبشرناك ، لتحقق الامر على ما جرى". للمزيد انظر ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 312-313، شافع بن علي، حسن المناقب، ص 131-132.

[48] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 299-300، 312، الصفدي، الوافي، ج 10، رقم 4865، شافع بن علي، حسن المناقب، ص 126.

تابعاً للسلطة المغولية ويصدرون بشأنه أحكاماً يمكن القول عنها إنها قاسية. ولذلك حرص السلطان بيبرس، منذ توليه حكم بلاد الشام على معاقبته على هذا الاختيار ، كما هو موضح في الخطاب الذي أرسله بعد سقوط أنطاكية إذ أنبه على ماضيه، وقام باستهداف منطقة طرابلس حيث شنّ العديد من الحملات العسكرية مصحوبة بتهديدات: "ما كان من قصدنا طرابلس، وغزونا له في عقر الدار، وما شاهده بعد رحيلنا من اخراب العمائر، وهدم الاعمار، وكيف كنست تلك الكنائس من على بساط الارض، ودارت الدوائر على كل دار..... ان الاله الذي انطاك انطاكية منك استرجعها، والرب الذي اعطاك قلعتها منك قلعها ومن الارض اقتلعها، ولتعلم انا قد اخذنا بحمد الله منك ما كنت أخذته، من حصون الإسلام.... وجميع ما كان لك في بلاد انطاكية، واستنزلنا أصحابك من الصياصي، وأخذناهم بالنواصي، وفرقناهم في الداني والقاصي ولم يبق شيء يطلق عليه اسم العصيان إلاّ النهر فلو استطاع لما تسمى بالعاصي، وقد أجرى دموعه ندما، وكان يذرفها عبرة صافية فها هو أجراها بما سفكناه فيه دما"[49]. كما قام هناك بتنفيذ سياسة الأرض المحروقة لدرجة أن المنطقة المحيطة بطرابلس قد دمرت بالكامل[50].

يذكر اليونيني بأنه التقى الأمير بوهمند السادس في عام 658هـ/1260م أثناء وجوده في حاشية الأمير المغولي كتبغا[51] في بعلبك، ويزعم إن بوهمند طلب من هولاكو أن يمنحه السيطرة على هذه المدينة التي كان سكانها ينظرون إليه نظرة سيئة[52]، لكن هزيمة عين جالوت التي تبعها رحيل المغول من بلاد الشام أجل هذا المشروع. وتذكر مصادر أخرى أن هولاكو أعطى بوهمند السادس مناطق كان قد غزاها سابقاً في شمال بلاد الشام وهي: ديركوش[53] وشقيف كفردبين[54] وشقيف كفرتلميس[55]، "كما أخذ اللاذقية[56] وجدد على الميناء برجاً حصيناً وأخذ عدة قرايا في بلاد المسلمين"[57]. لكن هذه المعلومات تنقصها الدقة إذ توجد مصادر أخرى مثل القلقشندي تؤكد أن هولاكو فشل في أخذ ديركوش وبالتالي لايمكن أن يمنحها لأحد[58]. أما بالنسبة إلى اللاذقية ففي رسالة موجهة من بيبرس إلى ابن بوهمند السادس بعد وفاة والده تؤكد أن بوهمند استولى على هذه المدينة بعد انسحاب المغول من بلاد الشام، وبمساعدة فرسان

[49] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 309، 312–313، شافع بن علي، حسن المناقب، ص 128–131–132.

[50] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح. يحيى عبارة، وزارة الثقافة، دمشق، 1991، ص 104.

[51] كتبغا: كان أحد قادة الجيش المغولي ومن المقربين إلى هولاكو. تولى قيادة الجيش المغولي في بلاد الشام بعد عودة هولاكو إلى بلاده. دخل دمشق ثم قتل في معركة عين جالوت. توراو، الظاهر بيبرس، ص 85.

[52] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج3، ص 92.

[53] دركوش: حصن قرب أنطاكيا من أعمال العواصم. انظر الحموي (ياقوت بن عبد الله ت.)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج2، ص 452.

[54] كفر دبين: بضم الدال وتشديد الباء وكسرها هم حصن بنواحي أنطاكيا و كفر عند أهل الشام تعني القرية. انظر الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 469، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ، ج1، ق2، ص 71.

[55] شقيف كفر تلميس أو بلميس: قلعة من أعمال حارم. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ج1–ق2، ص 71.

[56] اللاذقية: وهي بلدة ذات صهاريج، وهي على ساحل البحر وبها ميناء حسنة مفضلة على غيرها وبها دير مسكون يعرف بالفاروس حسن البناء، وهي أجل مدينة بالساحل منعة وعمارة. انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 257.

[57] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 300، 324.

[58] القلقشندي، صبح الاعشى، ج4، ص 128.

الداوية والإسبتارية[59]، وبناءً على هذا فإن سيادة الأمير على هذه المدينة تعود إلى جهوده العسكرية، وليست ناتجة عن إرضاء السلطة المغولية.

كما تؤكد المصادر المسيحية، وخاصة المصادر الأرمنية، أيضاً على تناغم العلاقات بين الغزاة المغول وأمير أنطاكيا. وتذكر هذه المصادر إن الأمير بوهمند وملك أرمينيا هيتوم الأول[60] شاركا في اضطهاد المسلمين في دمشق أثناء الاحتلال المغولي لها، وأن الأمير أمر بتطهير كنيسة وتبخيرها، وعمل قداساً فرنجياً جرى إنشاده فيها، وأمر بقرع النواقيس أثناء ذلك[61]. هذه المعلومات التي تحدث عنها كتاب واحد– بينما لا تنقلها المصادر الأخرى من لاتينية وعربية– تبدو من الأمور المشكوك بصحتها، ولو كانت هذه الأعمال قد وقعت فعلاً لما تجاهلها الكتّاب المسلمين، وأغفلوا ذكرها وتقديمها لتكون شاهداً ضد بوهمند. كما أن المؤرخ الأرمني هيتوم الذي تحدث عن المكافآت التي منحها المغول للأمير الفرنجي، كتب مؤلفه في وقت متأخر، وتم تقديمه باللغة اللاتينية إلى البابا كليمنت الخامس (705–714هـ/1305–1314م) في بواتييه عام 707هـ/1307م. ويمكن القول أن هذا الكتاب هو دعوة من أجل تدخل غربي جديد في المشرق العربي الإسلامي، أراد من خلاله إعادة كتابة العلاقات بين الفرنجة والمغول في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي للتأكيد على التحالف الطبيعي بين هذين الطرفين. من ناحية أخرى اذا نظرنا إلى المصادر المعاصرة والأقل إثارة للتساؤل مثل المراسلات المعاصرة بين بوهمند السادس والمغول، بالكاد يوجد آثار للخدمات التي كان هولاكو سيكافأ بوهمند عليها[62].

يروي المؤرخ المملوكي ابن أبي الفضائل بالتفصيل ظروف المفاوضات بين السلطان بيبرس وبوهمند التي تلت رسالة حصن عكّار، ويبدو أن بوهمند تعرض للترهيب والتخويف من قبل الرسل الذين أرسلهم السلطان الذي هدد بقتله إذا ابتعد عن طرابلس، وهي وسيلة من وسائل السلطان للضغط على الأمير بوهمند. كما أرسل له أيضاً رسالة مشافهة على لسان رجل من الاسبتار يقول فيها: "أين تروح مني والله لابد أخذ قلبك وأشويه، وأنت تنظر، وما ينفعك أبغا بن هلاوون[63](هولاكو)"[64]. هذا الأمر دفع أمير طرابلس للاحتراس، والتخلي عن الخروج للصيد. وعندما وصلت هذه الأخبار للسلطان بيبرس، أرسل له غزالاً مذبوحاً، وضبعةً حية، ورسالة يقول فيها : "لما اتصل بنا امتناعك من

---

[59] CAHEN, C., La Syrie du Nord a l'epoque des Croisades et la principaute franque d'Antioche, Paris, 1940, p. n. 18.

[60] تزوج بوهمند السادس من سيبيلا ابنة هيتوم الأول فكان بذلك صهره وحليفه الأول في المنطقة. انظر سمباد، التاريخ المعزو إلى القائد سمباد الأرمني، تح سهيل زكار، دار التكوين، دمشق، ج35، ص 324–325.

[61] SOURDEL, M., "Bohemond et les chretiens a Damas sous occupation mongole", dans M. Balard et Alii (ed), Dei Gesta Per Francos, Etudes sur les Croisades dediees a Jean Richard, Aldershot, 2001, p. 295-299.

ويذكر جيرار أوف مونتريل وهو فارس داوي صوري إن بوهمند السادس "كان صاحب حظوة لدى هولاكو وإنه دخل إلى دمشق مع كتبغا ومع هيتوم... وأعطى هدايا فخمة إلى الأمير، واحتفى به في حضرته احتفاء صداقة". انظر جيراد أوف مونتريال، أعمال القبارصة، تر. سهيل زكار، دار التكوين، 2008، ص 232–233.

[62] JACKSON, P., "The Crisis in the Holy Land in 1260", English Historical Reviez, 1980, p. 494.

[63] أبغا بن هولاكو بن تولاي بن جنكيز خان، ولد سنة 631هـ/1234م وجلس على عرش إيلخانة فارس بعد وفاة والده هولاكو سنة 663هـ/1265م وأمضى في الحكم نحو سبعة عشر عاماً إلى أن توفي في همذان سنة 681هـ/1281م. انظر سليمان (أحمد عبد الكريم)، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس (648–676هـ/1250–1277م)، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، 1984، العربية، ص 88.

[64] ابن أيبك الدوادار، الدرة الزكية، ص 157–158.

التصرف خوفاً على نفسك وهجرانك للصيد الذي هو غاية مرامك، بعثنا إليك نصيباً من الإجحاف لك والميل عنك"[65]. والسؤال هنا يطرح عن مدى صحة هذه التبادلات بين الطرفين. رغم ذلك يمكن القول إن هذه التبادلات، وإن لم تكن صحيحة تماماً، تتوافق مع نغمة الرسائل الموجهة إلى الأمير بوهمند، ومع السياسة العامة التي اتبعها السلطان بيبرس تجاهه.

لكن يوجد مصدر لاتيني أفاد برد فعل بوهمند على تهديدات السلطان التي أظهر فيها الكثير من الشجاعة والبطولة، وأعلن استعداده للقتال حتى الموت[66]. ومن المثير للاهتمام، أن مصدراً مملوكياً تحدث أيضاً عن هذا الرّد، مضيفاً أن بوهمند رفض شروط السلطان القاسية، وهذا دليل على أن قيم البطولة والفروسية كانت منتشرةً في كلا المعسكرين. واستناداً إلى المصدر نفسه كانت نتيجة هذا الرّد "تليين وتسكين السلطان"[67]. وفي النهاية يذكر الكاتب نفسه رواية تجعل من بوهمند شخصاً مثيراً للسخرية، وذلك بعد التوقيع على الهدنة مع السلطان ذهب بوهمند إلى أبغا خان يطلب منه المساعدة ويشير إلى التهديد الذي يشكله بيبرس، ويذكر له ما فتحه السلطان من حصون وقلاع، لكنه تعرض للتأنيب من قبل الخان الذي لم يرغب في السماع عن سطوة وقوة السلطان المملوكي وقال له: "أنت ما جئت إلا لتخوفني منه وتنفرني عنه، وتملأ قلوب عساكري رعبا"[68]، فعاد الأمير إلى إمارته خائباً، بينما توجه السلطان لإكمال فتوحاته[69].

الخاتمة

وهكذا يمكن القول ان هذا النوع من الرسائل الدبلوماسية كان عبارة عن شكل من اشكال الحرب النفسية التي قادها المماليك ضد الطرف الاخر، وفي الوقت نفسه يمكن عدّها شكل من اشكال اظهار قوة وشرف وشجاعة السلطان ومجهوداته الحربية من أجل نصرة الاسلام.

إن نجاح فن المخاطبة المملوكي واللغة العربية في قيادة المعارك كان من العوامل الاساسية في نجاح الصراع ببعثها اساليبا قوية متماسكة منظمة، والأهم أنها واضحة لم تترك مجالاً للبس والضبابية في نوعية العلاقات التي أرادها المماليك مع جيرانهم الفرنجة، فقد عكست بنسبة كبيرة الواقع الثقافي والمزاج الشعبي لدولة المماليك وبرعت في مخاطبة الاخرين بلسانه، والرسالة الدبلوماسية كما ذكر سابقاً لم تكن أقل شأنا من ضربة السيف من خلال وسائل الضغط المعنوية المتنوعة حسبما تقتضي الحال، حتى اصبحت كوجبة روتينية غير مستحبة أجبر الفرنجة على ابتلاعها تحت ضغط الضربات القوية للجيش المملوكي. ولا شك في أن ابداع الكتّاب في ديوان الإنشاء ومهاراتهم الكتابية وثقافتهم الواسعة جعلتهم ينظرون الى العلاقات الدبلوماسية نظرة مختلفة عن الاخرين، وجعلت الفكر يسبق العمل فقادت بمهارة اتفاقات الصلح والتفاوض والصداقة أحيانا، ودمرت جهاز المناعة عن الاخرين أحياناً أخرى قبل مهاجمتهم وهنا مكمن أهمية وخطورة الرسائل الدبلوماسية .

References

[65] ابن أيبك الدودار، الدرة الزكية، ج8، ص 157–158، إبن أبي الفضائل (ت. 757–1358م)، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تح وتر. بلوشيه، *Histoire des sultans mamlouks*, vol. 14/3 20/1 et 12/3, dans *Patrologia Orientalis*, Imprimeurs–Editeurs, Paris, 1919–1929–1983, p. 534–535.

[66] ROHRICHT, R., "Etudes sur les derniers temps du royame de Jerusalem ", Qrchives de l' Orient Latin, vol. II–1, 1884, p. 400, n. 142.

[67] ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ص 535. كان بيبرس قد اشترط على بوهمند أن يدفع نفقات العساكر من يوم خروجه، لكن السلطان اضطر إلى تقديم بعض التنازلات عن شروطه لبوهمند وربما يعود السبب في ذلك إلى سماعه بقدوم حملة فرنجية إلى عكا يقودها الامير الإنكليزي إدوارد. انظر المقريزي، السلوك، ج 1، ق2، ص 592.

[68] ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ص 537.

[69] ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص 384.

The Quran.
ABU AL-FIDA', Taquim al-Buldan, Dar Sadir, Bayrout.
AL-HAMOUI, Mu'jam al-Buldan, Dar Sadir, Bayrout, 1977.
CAHEN, C., La Syrie du Nord a l'epoque des Croisades et la principaute franque d'Antioche, Paris, 1940.
GERARD OF MONTEARL, A'mal al-Qabarisa, ed. Suhil Zakkar, Dar al-Takuin, Damas, 2008.
HASSAN, G., Les relations diplomatiques entre les Mamelouks bahrides et les Etats chretiens en Orient (milieu au XIIIe-fin du XIVe siècle), These de doctorat, Universite Paris 1- Pantheon-Sorbonne, Paris, 2010.
IBN ABD al-ZAHIR, *al-Rawd al-Zahir fi Sirat al-Malik al-Zahir*, éd. 'Abd al-'Aziz al-Hwaiytr, Riad, 1976, 519 pp.
IBN ABI AL-FADA'IL, *al-Nahj al-Sadid wa al-Dur al-Farid fi ma bada Tarih Ibn al-Amid*, trad. et éd. E. Blochet, *Histoire des sultans mamlouks*, vol. 14/3 20/1 et 12/3, dans *Patrologia Orientalis*, Imprimeurs-Editeurs, Paris, 1919-1929-1983.
IBN AYBAQ AL-DAWADAR, Kanz al-Durar wa Jami' al-Ghurar, al-Dura al-Zakia fi Akhbar al-Dawla al-Turkia, ed, Olrikh Harmman, vol. 8, al-Ma'had al-Almani lil-Athar, Cairo, 1971.
IBN AL-FURAT, *Tarih al-Duwal wa al-Muluk*, ed and tr,. U. et M. C, Lyons, Ayyubids, Mamluks and Crusaders, selections from the Tar'rih, Cambridge, 1971.
IBN KATHIR, Tfsir al-Qur'an al-'Adhim, Maktabat Dar al-Islam, Damas, vol2, 1948.
IBN MANZOUR, Lisan al-Arab, Dar Sadir and Dar Bayrout, 1956.
IBN SHADAD, al-A'laq al-khatira fi dhkr Aumara' al-Sham wa al-Jazira, ed. Yahya Aibarh, Wizarat al-Thaqafa, Damas, 1991.
IBN SHADAD, *Tarih al-Malik al-Zahir*, éd. Ahmad Hutaiyt, Franz Steiner Verlag, Wiesbaden, 1983, 447 pp.
IBN WASIL, Mufarig al-Kurub fi Akhbar banu Ayyub, ed. Gamal al-SHaiyal, Matba'at Jami'at Fuad al-Awal, Cairo, 1953.
JACKSON, P., "The Crisis in the Holy Land in 1260", English Historical Reviez, 1980.
MAQAMI, N. I, Firaq al-Ruhban al-Fursan fi bilad al-Sham fi al-Qarnin al-thani 'ashr wa al-thalith 'ashar, Cairo, 1994.
AL-MAQRIZI, *al-Suluk li Ma'rifat Duwal al-Muluk*, éd. Muhammad Mustafa Ziyada, Matba'at Lignat al-T'alif wa al-Nasr wa al-Targama, vol. 1-2, Cairo, 1934-1958.
MULLER-WIENER, W., Al-Qyla' Ayyam al-Huroub al-Salibia, tr. Muhammad Walid al-Jalad, Dar al-Fikr, Damas, 1984.
AL-NUWAYRI, *Nihayat al-Arab fi Funun al-'Adab*, , éd.Mohammad 'Abd al-Hadi Sa'ira, vol.30, al-Hai'a al-Misriya al-'Ama lil-Kitab Le Caire, 1990-1991.
AL-QALQASHANDI, *Subh al-Asa fi Sinaat al-Insa*, 14 vols., al-Matba`a al-'Amiriya, Cairo, 1913-1919.
RICHARD, J., *La papauté et les missions d'Orient au Moye Âge (XIII^{e}-XV^{e})*, Ecole française de Rome, Rome, 1977, 325 pp.
ROHRICHT, R., "Etudes sur les derniers temps du royame de Jerusalem ", Archives de l' Orient Latin, vol. II-1, 1884.
RUNCIMAN, S., Tarikh al-Hamalat al-Salibia, tr. Nour al-Din Khalil, vol. 3, 1994.
SHAFI' BIN ALI, Husun al-Manakib al-Siria al-Muntaza'a min al-Sira al-Zahiria, ed. Abd al-Aziz Khuytr,Matba'at al-Kuat al-Askaria al-Su'udia, Riadm 1989.

AL-SAFADI, Al-Wafi bi-al-Wafiat, ed. Turki Mustafa and Ahmad Arna'ut, Dar Ihia' al-Turath al-Arabi, vol. 3, Bayrout, 2000.
SIMBAD, Al-Tarikh al-Ma'Zou Ila al-Qa'id al-Armani Simbad, ed. Suhil Zakkar, Dar al-Fikr, Damas, 1999.
SOURDEL, M., "Bohemond et les chretiens a Damas sous occupation mongole", dans M. Balard et Alii (ed), Dei Gesta Per Francos, Etudes sur les Croisades dediees a Jean Richard, Aldershot, 2001, p. 295-299.
SULIMAN, A.K, Al-Maghoul wa al-Mamalik hta Niyhayat Asir Al-Zahir Baybars, Dar al-Nahda al-Araiyya lil-Tbi' wa al-Nashir wa al-Tawzi', Cairo, 1984.
THORAU, P.,Al-Zahir Baybars, tr. Muhammad Jadid, Dar Qadmas, Damas, 2001.
AL-YUNAYNY, Dayl mir'at, al-Zaman, vol. 2, Dairatu al-Ma'arif al-Uthmania, Hyderabad, 1956.